تفسير إبن كثير

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا

وقوله : (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) [و] هذه من صفات المؤمنين (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) [الأنفال : 2] ، بخلاف الكافر ، فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يقصر عما كان عليه ، بل يبقى مستمرا على كفره وطغيانه وجهله وضلاله ، كما قال تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) [التوبة : 124 - 125] .فقوله : (لم يخروا عليها صما وعميانا) أي : بخلاف الكافر الذي ذكر بآيات ربه ، فاستمر على حاله ، كأن لم يسمعها أصم أعمى .قال مجاهد : قوله : (لم يخروا عليها صما وعميانا) لم يسمعوا : ولم يبصروا ، ولم يفقهوا شيئا .وقال الحسن البصري : كم من رجل يقرؤها ويخر عليها أصم أعمى .وقال قتادة : قوله تعالى : (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) يقول : لم يصموا عن الحق

ولم يعموا فيه ، فهم - واالله - قوم عقلوا عن االله وانتفعوا بما سمعوا من كتابه .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أسيد بن عاصم ، حدثنا عبد االله بن حمران ، حدثنا ابن عون قال : سألت الشعبي قلت : الرجل يرى القوم سجودا ولم يسمع ما سجدوا ، أيسجد معهم؟ قال : فتلا هذه الآية : (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) يعني : أنه لا يسجد معهم لأنه لم يتدبر آية السجدة فلا ينبغي للمؤمن أن يكون إمعة ، بل يكون على بصيرة من أمره ، ويقين واضح بين .